فهذا الاخير رغم انه ربط بوضوح بفكرة النص، الانتقال من الفهم الذي ... هو مطبّق في الحوار، إلى تأويل تعابير الحياة المثبتة بالكتابة، إلا انه ... إشكالية الفهم بإشكالية اللغة»[1].

ان هذه الإشكالية اللغوية في فلسفة دلتاي التأويلية، ستطرح بشكل ... في التطور اللاحق الذي ستعرفه التأويلية عند ثالث فلاسفة التأويلية ... (١٨٨٩ ـ ١٩٧٦)، الذي رفض القول، عكس دلتاي، بأن العلوم الإنسانية ... خصوصيتها ومميزاتها الخاصة. واعتبر أن العلوم الطبيعية لها نموذج أو شكل ... يعدّ شكلاً ثانوياً مقارنة بما هو عميق وأساسي، وأن هذا الجانب العميق والأساسي ... يمكن وصفه بالموضوعي والذاتي، وان افضل طريقة لمعرفته هو الاعتماد على ... لا كمعرفة بالأشياء وانما كنوع من امتداد الذات. وفي تقديره أن الانسان يوجد ... تأويلية، ذلك أن الوجود ذاته عملية تأويلية.

يرى ريكور ان هيدغر قد نقل مشكلة التأويل من الطرح السيكولوجي إلى ... الوجودي، ومن النص إلى اللغة، ومن الاشكالية الثقافية إلى إشكالية «الكائن في العالم». اذ لم يعد الفهم عنده «فكرة سيكولوجية، فقد انفصل تماماً عن كل ... للغير، عن كل ادراك لأي وعي غريب. ان الفهم يؤوّل بعبارات انطولوجية ... مكونات الكائن، طارحاً على نفسه مسألة الكينونة انطلاقاً من أوضاع ... محددة وعلى ركيزة من الفناء والانتهاء»[2].

وهكذا عمل هيدغر على رفع الصفة النفسية للفهم، ليدخله في مسألة ... لماذا؟ «لأن الفهم الذي يحصل لكائن ما عن وضعه وعن مشاريعه لا يمكن ... وبالتالي أن يؤوّل الا في وسط التكلم باللغة»[3]. وهنا يظهر الطابع الانطولوجي ... اعطاه هيدغر للغة عندما قال إنها «بيت الانسان»، وأن «ماهية اللغة هي لغة ... وأن علينا أن «نحيا تجربة اللغة بحيث تعبّر عن نفسها بنفسها، فاللغة تتميز بأننا ... فيها ونألفها من دون أن ننتبه لها في العادة أو نحاول تركيز ابصارنا عليها»[4] ... لجأ إلى الشعر، ليبين مقاصده الوجودية من اللغة.

---

(١) بول ريكور، «فلسفة اللغة»، ترجمة علي مقلد، في: العرب والفكر العالمي، العدد ... ١٩٨٩، ص ٢٨.

النموذج التكويني. اما الفهم في نظر ديلثي، فيهتم بالطبيعة الإنسانية من خلال ما تظهره التجربة وما تبينه اللغة والتاريخ.

فماذا تعني التجربة؟ لا تعني التجربة عند ديلثي الفهم التجريبي أو المخبري الذي نلقاه عند التجريبيين، بل التجربة في نظره لا تجد انسجامها الأصلي ولا قيمتها الا في شروط وعينا أو شعورنا. وبالتالي فان موضوع التجربة يتعلق بالشعور أو الوعي، وهو مجال العلوم الروحية أو التاريخية أو الإنسانية. ان التجربة عند ديلثي تتضمن فكرة الحياة، وتجربة الذات والموضوع معا. أي ان موضوع التجربة هو الحياة وتصوراتها أو تمثلاتها.

ويتكون منهج الفهم عند ديلثي من مجموعة مبادئ منها: مبدأ الكلية، لأن الفهم العميق للجزئي يفترض سلفاً النظرة الكلية، وهذا الكل هو الحياة؛ ومبدأ الانسجام، أو تناسق جميع الأجزاء في الكل؛ ومبدأ البنية، لانه من الضروري الكشف عن بنية الحياة أو عناصرها المختلفة؛ ومبدأ الزمنية، أو التاريخية لان الوقائع والأحداث النفسية تتم دائماً في زمن معين؛ وأخيراً مبدأ الدلالة، أو المعنى الذي يحمله الفعل أو الحدث.

و بناء على هذه المبادئ، يعتقد ديلثي ان العلوم الإنسانية تتميز بتعقيد أعلى مقارنة بالعلوم الطبيعية، لذا فان مشكلة المنهج فيها ستبقى مطروحة، ولن تحل الا بعد فترة زمنية كافية. وعليه، فان العلوم الانسانية تمثل انتقالاً من البسيط إلى المعقد مقارنة بالعلوم الطبيعية، وان ما يشكل خصوصية العلوم الإنسانية في نظره هو فهم الواقعة التاريخية والاجتماعية وما لها من تفرد وخصوصية، وان الوقائع الإنسانية الأولى وقائع نفسية، وان التلازم قائم بين الفرد والمجتمع والتاريخ.

كما اكد ديلثي على مفهوم مركزي يميز العلوم الانسانية عن العلوم الطبيعية، وهو مفهوم رؤية العالم، الذي من الممكن ان يكون مضمراً أو ظاهراً. وفي تقديره، فإن التاريخ هو الذي يلعب دوراً بارزاً في إدراك خصوصية العلوم الإنسانية، مقارنة بالعلوم الطبيعية. . بالإضافة طبعاً إلى مبدأ الفهم الذي يقوم على التأويل، لأن كل فعل واثر انساني يستدعي بالضرورة تأويله.

وللقيام بعملية التأويل وجب، في نظره، الاعتماد على المعطيات التاريخية الفلسفية والواقعية، والنظر إلى اجزاء النص في كليته، والبحث في الذات المبدعة للكاتب، وان يكون القصد هو فهم البنية النفسية، باعتبارها ناتجة عن ارادتنا وسلوكنا ... أو بنيتنا النفسية الكلية.